وكان بهذا أول حاكم جند المصريين فى خدمة الجيش بعد اعتزالهم عن ذلك آلاف السنين ، وعنى بتدريب مماليك بيته ، وأغدق النعم على المتفوقين منهم حتى اشتد بأس جماعته، وقد شاهد فولنى[١] الرحالة الفرنسى فى رحلته إلى الشام جيوش على بك ، وهى ذاهبة لفتح سوريا فقال : إن الجيش المشار إليه كان مكونا من ٤٠ ألف مقاتل منهم خمسة آلاف من الفرسان ، وقد وصف ملابس المماليك فقال : إنها على أحسن طراز يرتديه مجند فى ذلك العهد ، وشرح أقسام الجيش والأسلحة المستخدمة والعتاد بالتفصيل ، مما يدل على مقدرته المالية ومحبته لجيشه واعتماده عليه، وعلمه أنه أساس كل إصلاح وهو الضامن للاستقلال.

استعدت التجريدة التى جهزت لفتح بلاد العرب وقسمت إلى قسمين : القسم الأكبر بقيادة محمد بك أبو الذهب ومهمته فتح شبه الجزيرة العربية من الداخل ، والقسم الثانى مكون من أسطول كبير وجيش ، حددت مهمته فى الاستيلاء على السواحل والموانئ بقيادة حسن بك الجداوى ، وانتصرت هذه الحملة ، وأخضعت شبه الجزيرة العربية للحكم المصرى ، ورجع القائدان المنتصران إلى مصر فى أكتوبر سنة ١٧٧٠ بعد أن تم فتح الحجاز واليمن ، ودعى لعلى بك على منابر الكعبة دون الخليفة التركى ولقب « سلطان مصر وخاقان البحرين والبرين »[٢] .

---

(١) Volney Voyages en Egypte pendant les années 1783 – 84 Paris . Vol . 1 p. 98

(٢) Savary P. 231.